خلال عبورها «جحيم» السبعينات.

ومن جحيم السبعينات العربي الى «جحيم» الثمانيات الاسرائيلي، حيث واجهت الحركة الوطنية الفلسطينية، بمفردها، الآلة العسكرية الاسرائيلية. فقد تسلم، في أواخر السبعينات (١٩٧٧)، الحكم في اسرائيل اليمين الصهيوني الذي اعتبر حرب العام ١٩٦٧ «حرب تحرير لكامل ارض ـ اسرائيل»، وهو يرفض أي مساومة على اقتسام الجغرافيا الفلسطينية؛ فشن، منذ العام ١٩٧٨، الحرب، بشكل شبه متواصل على الوجود الفلسطيني في لبنان، من جهة، وضد النشاط الفلسطيني داخل الارض الفلسطينية المحتلة، من جهة أخرى. ووقعت اشرس مواجهة اسرائيلية ـ فلسطينية خلال الغزو الاسرائيلي للبنان (١٩٨٢) التي اعتبرها معظم المراقبين، بمن في ذلك اسرائيليون، حرباً في لبنان لمنع احياء مشروع تقسيم فلسطين بين اليهود والفلسطينيين. واعلن رئيس حكومة اسرائيل آنذاك، مناحيم بيغن، ان اسرائيل ستشهد هدوءاً بعد اخراج قوات م.ت.ف. من لبنان لأربعين سنة مقبلة. وقد وقفت الحكومات العربية موقف المتفرج على ما يجرى ضد الفلسطينيين على ارض لبنان من قبل اسرائيل؛ فعبر رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عرفات، عن الاحتجاج الفلسطيني على الموقف العربي بعدم توجهه الى اي قطر عربي حين غادر بيروت، فجعل من اليونان محطته، ريثما التأم شمل القمة العربية في فاس (١٩٨٢). وطيّب خاطره الزعماء العرب باستقباله بطلاً، وباقرار مشروع الملك فهد للتسوية السلمية، الذي نص، من ضمن ما نص عليه، على وجوب ان تؤدي التسوية السلمية الى «دولة فلسطينية مستقلة بقيادة م.ت.ف. الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني».

وحين حاولت م.ت.ف. العودة الى مواقع التماس العسكري مع العدو الصهيوني، جوبهت بالاعاقة التي تجسّدت في الموقف السوري من م.ت.ف. في لبنان؛ اذ حاولت سوريا شق حركة «فتح»، كبرى منظمات المقاومة الفلسطينية، واقامت تحت اشرافها تحالفات فلسطينية معارضة للقيادة الوطنية الفلسطينية؛ ولمّا لم يجد كل ذلك اصطدمت معها بالواسطة (المنشقون عن «فتح» والمنظمات الموالية لسوريا) واجبرتها على الخروج من كامل لبنان. ولما كرّرت م.ت.ف. المحاولة ثانية، عبر تداخلها مع نشاط الحركة الوطنية اللبنانية ضد الاحتلال الاسرائيلي، عادت سوريا، بالواسطة أيضاً (حركة «أمل»)، الى محاصرة المخيمات الفلسطينية في لبنان، بعد اعلان اسرائيل انسحابها من لبنان (١٩٨٥). لكن حسابات الحقل السورية لم تتوافق مع النتائج التي توقعتها من حصار المخيمات. فقد أدى ذلك الى عودة اللحمة الى المنظمات الفلسطينية التي وصلت، كل بطريقتها الخاصة، الى الاقتناع المطلق بالخصوصية الوطنية الفلسطينية وتمايزها عن الوضع العام، من جهة، وبأنها مستهدفة من قبل اسرائيل وبعض الانظمة العربية، كل لأسبابه، من جهة أخرى؛ وان وحدتها هي الوسيلة المجدية لمواجهة هذا العداء ضدها؛ فكان انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر (١٩٨٧) تعبيراً عن تلك القناعات التي لخّصها التصريح بوجوب توظيف علاقات المنظمات الفلسطينية مع الانظمة العربية لخدمة القضية الفلسطينية، وليس العكس.

واستثار التوحد الفلسطيني والمواقف التي اعلنها المؤتمرون في دورة المجلس الوطني الفلسطيني الثامنة عشرة عدداً من الحكومات العربية. فأعلنت مصر غلق مكاتب م.ت.ف. وأوقف الاردن كل اشكال التنسيق المشترك معها، وأبلغت سوريا الى قادة الفصائل الفلسطينية الذين شاركوا في دورة الجزائر ان دمشق مغلقة في وجوههم، وطالب ملك المغرب، الحسن الثاني، المغاربة بعدم المشاركة في اي نشاط يشارك فيه الفلسطينيون؛ ثم جاءت قمة عمان (٨/١١/١٩٨٧) لتعبّر، بشكل جلي، عما وصل اليه الموقف من القضية الفلسطينية؛ اذ دفعت الى الظل تحت ذريعة اولوية حرب الخليج